المصدر: الاخبار

التاريخ : ١٩٨١/١٠/٢٧

زعامة فريدة .. غيرت الواقع السياسى للشرق الاوسط

خصصت مجلة ((نيوزويك)) الامريكية الاسبوعية اكثر من نصف صفحاتها لتقرير خاص عن حياة أنور السادات . وتحت عنوان ((الرجل الذى قام بالمجازفات)) قالت المجلة :

طوال حياته لعب انور السادات بالمخاطر وكانت شجاعته مرادفا آخر لنوع من الثقة بالنفس وهى التى كانت مفتاح نجاحه . وكشاب صغير السن خاطر بحياته للاطاحه بالملكية والاستعمار الانجليزى وكرئيس للجمهورية جلب على نفسه غضب الاتحاد السوفييتى حينما طرد فجاة ١٨٫٠٠٠ خبير عسكرى سوفيتى من مصر . وبين يديه اخذ مصير مصر والعالم كله حينما ارسل ٤٥٫٠٠٠ جندى مصرى عبر القناة لمحاربة اسرائيل يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

اما المجازفات التى قام بها من اجل السلام فقد تخطت كل المجازفات التى قام بها فى الحرب ، وحينما سافر الى القدس فى قلب معسكر أعدائه ليبدأ مهمته من أجل السلام فى الشرق الاوسط .

ومما عظم من قوة شخصيته وجسارة رؤياه أن خطوته لم تكن متوقعه . لقد وجه لاسرائيل ضربة قذفت بها الى الوراء ومحت اسطورتها كدولة لا تقهر اما اداؤه فى القدس وكامب ديفيد فقد حطم اسطوره خبيثة اخرى الا وهى ان العرب والاسرائيليين لا يمكنهم التفاوض ابدا وجها لوجه . وفى ١٩٧٨ نال الرئيس السادات جائزة نوبل للسلام وشاركه فيها مناحم بيجين .

وقد نشأ السادات نشاه ريفية متواضعة وكان منذ طفولته متدينا وكان يقول دائما انه كفلاح يشعر بأنه غنى بنفسه وكان دائما يتوق الى حياة الريف الهادئة وقد طرد السادات من مدرسته الثانوية لانه اشترك فى مظاهرات ضد الانجليز سنه ١٩٣٥ كما انه طرد من الجيش بعد ذلك لاشتراكه فى انشطة معادية للانجليز ومنها محاولة الاتصال بالقائد الالمانى المارشال روميل الذى كان يحارب فى شمال افريقيا اثناء الحرب العالمية الثانية ليخبره بأن تنظيم الضباط الاحرار الذى شارك فى تأسيسه مع جمال عبد الناصر وثمانية ضباط آخرين مستعد لمساعدة الالمان ضد الانجليز فى مقابل وعد من الالمان بمساعدة مصر على نيل استقلالها من الانجليز . وكانت تجربة السادات فى فترة سجنه

بسجن القاهرة لنشـــاطه المعادى للانجليز واتهامه فى قضيه مقتـــل امين عثمان وزير المالية هى نقطـة تحول فى حياته قال الســادات عن تجربته فىالسجن انها ساعدته على اكتشاف ذاته الحقيقية ((وليس هناك ما هو اهم من معرفة الذات وحينما عرفت ما أريده وتخلصت مما لا اريده من نفسى روضت نفسى وصادقتها)) .

ولم تمض سنوات قليلة حتى كان السادات يعلن بصوته قيام ثـورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتولى بنفســـه الاشراف على تنازل الملك فاروق عن العـــرش واخراجه من مصر وقال ((وقفت فى تلك اللحظة اشـــاهد فاروق يغرب فى التاريخ)) .

وحى الزنزانة رقم ٥٤

وخلال فترة حكم جمال عبـــد الناصر تبوأ السادات عدة مناصب ومن ضمنها رئيس المؤتمر الاسلامى وكان السادات مخلصا لعبد الناصر حتى انه الوحيد من قادة الثـــورة الاصليين الذى لم يتخلص منه عبد الناصر . ولكنه اكتسب شـــعبية كبيرة بين المصريين حينما قام بتصفية مراكز القوى السيئة فى حكم عبـد الناصر بعد ان خلفه فى رئاســـة الجمهورية .

ومنذ بداية حكمه فاجأ السادات العالم باستعداده لكسر حاجز التقاليد العربية بشأن التعامل مع اسرائيل فعرض فى سنة ١٩٧١ التفاوض لابرام اتفاقية للسلام مع اسرائيل فذهب ابعد مما قاله عبد الناصر بشأن قبول وجود اسرائيل ولكن السادات وضع شروطا متشددة فطالب بأن تقوم اسرائيل بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والانسحاب لما وراء حدود ١٩٦٧ أولا كشرط مسبق لبدء المفاوضات واخذ خطوة رادبكالية حينما اعلن استعداد مصر للاعتراف بالكيان الاقليمى والسياسى لاسرائيل .

وسببت هذه المرونة العربية المفاجئه مشكلة دعائية لرئيسة وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت جولدا مائير التى كانت طوال السنين الماضية تجد انه من السهل اثبات تصلب العرب اكثر من اسرائيل .

وحينما اتخذ قراره المدهش بطرد الخبراء السوفييت نفى السادات ان خلافه مع السوفييت هو مقدمه لتقاربه مع الولايات المتحدة وقال : ((ان الموضوع بينى وبين السوفيت ولا علاقة لاحد به)) . ولكن السادات بدا يعلن رايه بأن الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى تستطيع ان تجبر اسرائيل على التخلى عن الاراضى العربية التى احتلتها وفى رسالة من هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا انذاك امتدح فيها السادات ((لخطواته غير العادية)) ونبه السادات .. ان مصر ليست فى موقف يسمح لها بفرض شروطها

على اسرائيل ونبه الى ان مصر ستخسر اى حرب قادمة اذا حاولت الهجوم على اسرائيل . ولكن السادات كان مصمما على اثبات خطأ سياسة الامر الواقع كما تحدث عنها كيسنجر وكان مصمما على محو عار هزيمة ١٩٦٧ .

وبينما كان الاسرائيليون يصومون فى يوم عيد الغفران ظهر ٦ اكتوبر ١٩٧٣ قامت قوات السادات بالهجوم .. على الاسرائيليين . وبرغم استخفاف اسرائيل فى البداية الا انها اضطرت للاستنجاد بأمريكا فى وسط المعركة لتعوضها بسرعة بالاسلحة بعد خسائرها الثقيلة .

وبعد الحرب التف العرب حول زعامة السادات وجلس قادة ١٦ دولة عربية فى مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى الجزائر فى نوفمبر ١٩٧٣ ليستمعوا لافكار السادات بشأن التسوية السلمية .. وفى هذا المؤتمر قام السادات ومعه حافظ الاسد بتغيير راى القادة العرب الاخرين بضرورة الاستمرار فى محاربة اسرائيل ففى هذا المؤتمر وافقوا على عقد مؤتمر جنيف للسلام تحت اشراف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وحاول السادات ان يقنع المتشككين من السوريين والاردنيين والسعوديين بنظريته القائلة بأن الولايات المتحدة فقط هى التى تملك القدرة على الحصول على التنازلات من اسرائيل . ولكن السادات سرعان ما أدرك انه توقع اكثر من اللازم من الولايات المتحدة

لاعطائه التسوية الشـــاملة وبدات مفاوضات فض الاشتباك من خـــلال دبلوماسية ((المكوك)) التى قام بها كيسنجر وبدا التباعد من قبـــل صديق وحليف السادات حـــافظ الاسد الذى اغضبه ان اسرائيـــل بدات تعيد الارض لمصر قبل سوريا وبينما اخذت الوحدة العربيةتتفكك اخذ السادات يصبح اكثر واقعية واكثر تكريسا لتسوية حســابه مع اسرائيل .

واذا كانت حرب ١٩٧٣ قـــد غذت روح مصر فتدارك الســـادات ان هناك حاجة ملحة لتحويل المزيد من موارد مصر من الحـــرب الى الاقتصاد .

ولقد بدأ تقارب مصر واسرائيل بروءيا فى عقل السادات . فقـــد رأى نفسه وهو يصلى فى المســـجد الاقصى بالقدس . وبعد هذا كان كل شيء مسألة توقيت . وعنـدما أعلن السادات امام مجلس الشعب المصرى انه مستعد « للذهاب الى اخر الارض حتى الى الكنيست من اجل السلام)) . قال احد معاونى السادات : « سيعلم الجميع انه رجل عظيم اذا نجح وســـيعرف اصدقاؤه فقط انه رجل عظيم حتى اذا فشل)) .

اما السادات فقد كان واثقا من عظمتـــه وقال : ((ســأذهب الى القـــدس وسيضطر الجميع الى اللحـــاق بى)) .. فقد كان فكر السادات الذى توصل اليـــه فى الزنزانه رقم ٥٤ والذى تحدث عنه قائلا : ((ان الذى لا يستطيع تغيير نسيج تفكيره لن يستطيع تغيـــير الواقع وبالتالى لن يســتطيع أبدا

ان يحرز اى تقدم » . وبزيارته للقدس غير السادات الواقع السياسى للشرق الاوسط . وقد بكى الاسرائيليون حينما تحدث اليهم فى الكنيست وقال لهم : « انتم تريدون ان تعيشوا معنا فى هذه المنطقه من العالم وانا اقول لكم بكل الصدق اننا نرحب بكم بيننا)) .

رجل يعرف مايريد

واحداث القدس المثيرة الهمت احد المتفائلين الآخرين : جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة . وكان يتمتع بالتكوين والمزاج المناسب ليقوم بدور التوفيق بين السادات وبيجين ، وكان كارتر يشارك السادات حماسه لقضية السلام ولكنه كان ايضا كبيجين مولعا بالتفاصيل الدقيقة

وفى سبتمبر ١٩٧٨ قام الرئيس كارتر بما يشبه الحجز على السادات وبيجين لمدة ١٣ يوما فى كامب ديفيد للتوصل الى السلام وكما يتذكر احد المسئولين الامريكيين الذين حضروا هذه المفاوضات : كان السادات يتمتع بصبر غير عادى طوال فترة هذه المفاوضات الصعبة وكان الاختلاف بينه وبين بيجين حيث كان بيجين يثير مشكلة عند كل كلمة وكل فاصلة وكنت تنظر الى الناحية الاخرى من المنضدة تجد السادات يعرف موقفه وما يريده تماما)) .

وقدوصلت العلاقات بين السادات وبيجين الى درجة من التوتر خشى معها الجانب الامريكى من انهيار المفاوضات ولكن امكن فى النهايه التغلب على الكثير من العقبات ونزل الرؤساء الثلاثة من جبال كامب ديفيد وامام عدسات التليفزيون التى كانت ممنوعة من الاقتراب من مكان المفاوضات طوال مدة انعقادها أعلن كارتر بمد انتهاء المحنه : أن الله قد استجاب لصلواتنا)) .

وتعانق كارتر والسادات وبيجين - وفى القاهرة اصطف مئات الالوف من المصريين فى الشوارع ليستقبلوا السادات D كبطل السلام)) .

اما فى بقية العالم العربى فقد قررت ١٧ دولة عربية فرض عقوبات سياسة واقتصادية ضد مصر .ولكن السادات ظل متمسكا بعملية كامب ديفيد حتى النهاية . وقد خذله الاسرائيليون فيما يتعلق بالفلسطينيين وفى نفس الوقت كان السادات يشعر بأن الفلسطينيين يثيرون المتاعب ولكن شعوره كان أقوى بضرورة التوصل الى حل للقضية الفلسطينية كجزء من عملية السلام D كما قال هيرمان ايلتس ، السفير الامريكى السابق فى القاهرة

ولكن موقف العالم العربى لم يقلل من تأييد السادات داخل مصر بل انه كمكافح وطنى مخضرم استغل نقمة العرب لصالحه وكان دائما يكرر ان العرب ازدادو غنى فى الوقت الذى تحملت فيه مصر وحدها اعباء أربع حروب .

فضيلته الاخلاص والوفاء

وطوال حياته كانت الفضيلة الكبرى التى تمسك بها السادات هى الاخلاص والوفاء . وكان يقول ان الصداقة هى التى جعلته يبقى على وفائه لعبد الناصر وكان احد افضل المواقف لانور السادات هو عرضه الشجاع لاستضافة شاه ايران المحتضر فى مصر . كان يشعر انه مدين للشاه لوقوفه الى جانب مصر بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ حينما مدها بالبترول فورا اثناء ازمة الطاقة . كانت مصر السادات فقط هى التى وجد فيها الشاه اللياقة الانسانية التى لم تخضع للاعتبارات السياسية .

وكمسلم تقى مخلص لتعاليم الاسلام لم يكن السادات يتفق مع الخومينى فى استعمال الدين للتخويف وكتب يقول : ان العلاقة بين الله والانسان لايجب أن تقوم على للتخويف .. او العقاب او الثواب ولكن على قيمة ارفع بكثير بل ارفع القيم وهى الصداقة بين الله الانسان)) .

ولم يستخدم السادات تلك الاساليب القاسية التى يلجأ اليها اعداؤه المتطرفون والذين اختلفوا معه لم يقدموا للاعدام والكثير من اعدائه احالهم على المعاش ويتقاضون رواتب شهرية . وحينما اعتقل ١٥٠٠ من المتطرفين المسلمون والمسيحيين فى الشهر الماضى قارن المتشددون المسلمون بين هذا التطهير وما كان يفعله شاه ايران. ولكن لا يمكن مقارنة من اعتقلهم السادات باعتقالات الشاه او حتى من الزعماء العرب الاخرين ولكن المفارقة العجيبة كانت ان السادات ظن ان اجراءاته الصارمة قضت على التسيب .

ومازالت هناك حاجة قوية لمواصلة الطريق الذى بداه السادات ومازال السلام فى الشرق الاوسط يتطلب جهودا كبيرة لاتمامه .